التراث الفكري في عنابر الماضي وحاضرها

للدكتور إسماعيل بن علي الأكوع

حظيت اليمن على مدى عصورها الاسلامية بوفرة انتاجها العلمي ، وتدفُّق عطائها الفكري ، فلم يُؤثَر على الاطلاق أن تخلَّف علماء اليمن المبرزون ، أو جمدوا على رأي مَنْ قبلهم ، أو وقفوا عند فكرة معينة ، بل كانوا يندفعون مُجددين ومُبدعين في شتى ميادين الفكر — ولا سيما علوم الاجتهاد — (١) ولم يَفُتهم فن من فنون الثقافة الاسلامية ، ولا علم من علوم حضارتها إلاّ ركبوا مَتْنَه ، وخاضوا عُبابه وأتَوا بالعجب العجاب فأثْروا بثمار عقولهم المكتبة العربية الاسلامية وامدُّوها بذخائر الفكر ، وخلَّفوا ثروة طائلة من الأبحاث والمصنفات العديدة . ولم ينقطع نشاطهم الفكري حتى في الفترات العصيبة التي كانت اليمن خلالها تتعرض لمحن قاسية وحروب اهلية ضارية تعصف بأمنها واستقرارها ، وتمزق أوصالها ، وتأتي على الأخضر واليابس .

وقد تعدّدت مناحي تلك الأبحاث والمصنفات في الأدب واللغة وعلوم العربية والتشريع والعلوم الفلسفية والتاريخية والاجتماعية والترجمة والفلك والطب بنوعَيْه والزراعة وغير ذلك ، وتنوع بعضها بتنوع الوان الحكم في اليمن ، واتَّسَم بعضها بطابع المذاهب والعقائد ،

---

(١) من اسس المذهب الزيدي فتح باب الاجتهاد والدعوة اليه لمن ملك وسائله من علوم العربية ، وكان من أبرز علماء اليمن المجتهدين الذين لم يتقيدوا بأي مذهب من المذاهب الاسلامية المشهورة ، نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ ، ومحمد بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ ، والحسن بن أحمد الجلال المتوفى سنة ١٠٨٤ ، وصالح بن مهدي المقبلي المتوفى بمكة سنة ١١٠٨ ، ومحمد بن اسماعيل الامير المتوفى سنة ١١٨٢ ، ومحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ .

فكان لكل مذهب مؤلفاتُــه ، ولكل عقيدة مصنفاتُها ؛ فكان هناك كتب اهل السنة ، وكتب الزيدية بفروعهــا (٢) وكتب الشافعية ، وكتب الحنفية ، كما كان هناك أيضا كتــب الاسماعيلية (الباطنيــة) .

ثــم ظهر الاعتزال في اليمن في المائــة السادسة حينما قَــدِم اليها زيــدُ بن الحسن بن علي البَيْهقي البروقاني سنة (٤٥٠) (٣) بتكليــف من الشريف علي بن عيسى بن حمزة السُلَيْماني (٤) رئيس العلماء بمكــة في عصره ــ وكان زيدي المذهب ــ لمــا بلغه من انتشار المُطرفية فــي اليمن فعهد الى البَيْهقي بالمسير الى اليمن ليصدّ اهــل اليمن عن اعتناق هذا المذهب الذي كان قــد انتشر في اليمن الأعلى ، فقَــدِم كمــا ورد في ترجمته ــ ومعه كتب غريبة وعلــوم عجيبة ، فنزل بصعدة فأقام بهــا سنتين ونصف السنة يدرِّس وينشر الاعتزال ، ثــم ذهب الى هِجــرة مَحْنَكة (٥) حيث كان يوجد بهــا الامام أحمد بن سليمان المتوفى سنة ٥٦٦ فأخذ عنه الامام وشاركه في ذلــك القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام المتوفى سنة ٥٧٢ . ثــم رحل القاضي جعفر الى العراق فوجــد مذهب المعتزلة منتشراً هناك ، ووجــد من بقي فيه من الزيدية قــد تحولوا الى الاعتزال فأخذ عنهم ، ثم عــاد الى اليمن ومعه كتب كثيرة .

---

(٢) الهادوية والمطرفيــة والحُسَيْنية .

(٣) نسبة الى بروقن : قريــة من نواحي بلخ من خراسان . وكان عالمــا من علماء زيدية الجيــل والديلــم .

(٤) وهــو الذي أهدى اليه جــار الله الزمخشري تفسير الكشاف المشهــور في صــدر مقدمــة الكتــاب .

(٥) مَحْنَكة : بلــدة صغيرة في بــلاد خولان بن عمرو بالقرب من حَيْدان ، وكانت احدى هِجَر العلم المنتشرة في اليمن . ولنــا كتاب عن الهِجَر في أربــع مجلدات سيصــدر قريبا ان شاء اللــه .

وكـــان اهتمام الامام المنصور عبد الله بن حمزة المتوفى سنـــة ٦١٤ بالاعتزال لا حدود لـــه ، فقد بذل جهوداً كبيرة في الحصـــول على كتـــب المعتزلـــة وبعث علماء الى خارج اليمن ليقتنوا لـــه كتبها شراء واستنساخا فجمعت مكتبتـــه (٦) منها ومن غيرها عدداً كثيراً حتى صارت من اغنى المكتبـــات في اليمن .

وقـــد انتشر الاعتزال عند علماء الزيدية فكانوا هادوية في الفروع ، معتزلة في الأصول ، إلاّ في مسألة الإمامة فقـــد خالفوا المعتزلة (٧) ، كما ان المجتهدين من علمـــاء الزيدية الذين تحرروا من المذهـــب وعملـــوا بالكتاب وصحيح السنة قـــد وقفوا من الاعتزال موقفاً معارضاً ، وكـــان على راس هؤلاء العلامة المجتهـــد محمد بن ابرهيم الوزير ومن قبلـــه العلامة حُمَيْدان القاسمي من اعلام المائـــة السابعة الذي وقف موقفـــاً معارضاً للاعتزال ، ولـــه مؤلفات في ذلك .

كـــان في اليمن عدد كثير من خزائن الكتب ، وكان احفلها بذخائر الكتب ونفائسها خزائن الملـــوك والائمة والامراء ، لمـــا لهـــم من اهتمام كبير في جمع الكتب واقتنائها والاستكثار منها كما هـــي عاداتهم في كـــل زمان ومكان ؛ وكان اشهر تلـــك الخزائن خزانة السلطان الملـــك المؤيـــد داود بن الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول المتوفـــى سنـــة ٧٢١ اذا كانت تحتوي على مائة الف مجلد ـــ كما يقول اليافعي في مـــرآة الجنان،والدَّميري في حيـــاة الحيوان ـــ فقد كان يهوى جمـــع الكتـــب

---

(٦) الامامة عنـــد الزيدية محصورة في اولاد الحسنَيْن وعند المعتزلة في الأعلم والأتقـــى مـــن المسلمـــين .

(٧) كانت مكتبته في حجرة ظفـــار ذيبين : مقر سلطان ودار ملكه . وقـــد تفرق كثير منها بمرور الايام وبقي منها بقيـــة صالحة نقلها الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين المتوفى سنة ١٣٦٧ الى جامـــع صنعاء كما سيأتي بيـــان ذلك قريبا .

والتحف فكانت تحمل اليه من كل جهة ، وكان عنده مع ذلك اكثر من عشرة نساخين ينسخون الكتب وترفع الى خزينته بعد مقابلتها . ولما اهدي اليه كتاب الاغاني بخط ياقوت الحموي اجاز المُهدي مائتي دينار مصرية ، وقيل مائة الف كما ذكر ذلك ابو الفدى في تاريخه .

ومن المكتبات الشهيرة مكتبة الامام المنصور القاسم بن محمد المتوفى سنة ١٠٢٩ ومكتبات اولاده واحفاده لأنهم كانوا علماء مبرزين فاجتمع لهم بحكم علمهم وإمارتهم من نفائس المخطوطات ونوادرها ما لم يجتمع لغيرهم .

وكانت مكتبة عمر بن علي بن محمد بن ابي بكر العلوي المتوفى سنة ٧٠٣ من المكتبات الشهيرة في زبيد ، فقد كان فيها كما يقال خمسمائة ديوان (٨) من الشعر كما ورد في ترجمته . وورد في ترجمة الأمير عبد الله بن العباس الحجاجي المتوفى سنة بضع وسبعين وستمائة بانه جمع من الكتب ما لم يجمعه احد من نظرائه حتى قيل : ان خزائنه في مدينة الجَنَد جمعت اكثر من خمسة آلاف كتاب . وورد في ترجمة جمال الدين الريمي المتوفى سنة ٧٩١ بأن مكتبته كانت تضم الفي كتاب .

وهناك كتب كثيرة موقوفة على الجوامع والمساجد فتوجد مكتبة في جامع صنعاء ، ومكتبة في جامع زبيد ومكتبة في مسجد الأشاعر بزبيد ايضا ، ومكتبة في جامع المُظَفر بتَعز ، ومكتبة في جامع الامام الهادي بصعدة ، ومكتبة في المدرسة الشمسية بذمار ، ومكتبة في جامع ذي جبلة ، ومكتبة في جامع ابّ ، ومكتبة في جامع شهارة ، ومكتبة في جامع هِجْرة ظَفير حجّة ، ومكتبة في جامع ضُوران ، ومكتبة في جامع الرَّوضة ،

---

(٨) العقود اللؤلؤية ١ / ٣٥٦ وانظر ترجمته في كتابي (المدارس الاسلامية في اليمن) ص ١٤٨ .

ومكتبة في قبة طَلْحة بصنعاء ، ومكتبة في قبة المهدي العباس بصنعاء ، وجميع هذه المكتبات هي من أوقاف العلماء والفضلاء والأئمة والملوك والأمراء ، ولكنها قد تناقصت ونُقِد اكثرها ، ولم يبق في بعض هذه المكتبات إلاّ النزر اليسير ، وفي بعضها لم يعد لها اثر . ويعودُ السبب الى أن المستعيرين للكتب من هذه المكتبات كان اكثرهم لا يرجع ما استعاره — كما حدث في مكتبة المدرسة الشمسية في ذمار ، فقد سمعتُ من والدي رحمه الله ان كثيراً من شيوخ العلم بها وذكر اسماء بعضهم كانوا يستعيرون الكتب وتبقى لديهم بعذر أنهم محتاجون اليها لتدريس طلابهم فلا يرجع من تلك الكتب إلاّ ما ندر .

ومن اسباب فقدانها الاهمال والضياع وسرقة ما أمكن ، وتهاون حُفّاظ بعض تلك المكتبات في الحرص عليها فكانوا اذا اعوزتهم الحاجة باعوا منها ما امكن . وقد وجدتُ بعضاً من هذه الكتب معروضة للبيع وهي في الأصل من وقف بعض المساجد واخذتها واحتفظت بها في المكتبة الغربية بجامع صنعاء .

وقد تعرضت مكتبة جامع الامام الهادي بصعدة لنهب معظم محتوياتها حينما كانت تحترب القوات الملكية والقوات الجمهورية للاستيلاء على صعدة وحدث الشيء نفسه لمكتبة ظفير حجة ولا أعرف بالتحديد ما كان يوجد في تلك المكتبات كلها إلاّ انّه يوجد فيما بقي من مكتبة جامع الهادي بصعدة بعض اجزاء من التِبْيان في احكام القرآن (٩) لنشوان بن سعيد الحِمْيَري وهو من الكتب النادرة (١٠) ، ويوجد كذلك

---

(٩) نَهَجَ في تفسيره طريقة خاصة فهو يأتي بالآية ثم يرد فيها بالقراآت ثم اللغة ثم اسباب النزول ثم النظم وهو ارتباط الآية بما قبلها ثم المعنى فالأحكام .

(١٠) يوجد بعض اجزاء منه في مكتبة الامبروزيانا في ميلانو بايطاليا .

ضياء الحلوم لمحمد بن نشوان الحميري مختصر من شمس العلوم في اللغة ويوجد فيها أيضا نظام الغريب . ويوجد فيما تبقى من مكتبة جامع تعز ، وهي من أوقاف ملوك بني رسول ، شرح المفصل للزمخشري منسوخ في المائة السابعة في عصر المؤلف،والاكمال لابن ماكولا المتوفى سنة ٤٨٦ (الجزء الرابع)،وديوان الأدب لاسحق بن ابرهيم الفارابي المتوفى سنة ٣٥٠ (الجزء الاول) بخط نفيس،وبعض أجزاء من البيان في فقه الشافعية ليحيى بن أبي الخير العمراني المتوفى سنة ٥٥٨ وأجزاء من التفقيه شرح التنبيه (لابي اسحق الشيرازي) تأليف جمال الدين الرَّيمي .

ويوجد في جامع الروضة نحو اربعمائة مجلدة منها نسخة اثرية من شمس العلوم لنشوان الحميري ، ويوجد في قبة طلحة بصنعاء مجموعة من الكتب النادرة تبلغ خمسمائة مجلدة ، وهي من وقف بانيها الامام المهدي عبد الله بن المتوكل أحمد المتوفى سنة ١٢٥١ ، وهي مما اقتناها وورثها عن والده الذي يقال إنه كان في خزانته آلاف الكتب . وفي هذه المكتبة مجموعة من المصاحف الاثرية المذهبة بعضها بخط ياقوت المُسْتَعْصِمي .

على أن اثرى هذه المكتبات هي مكتبة الأوقاف بجامع صنعاء وهي مجموعة من وقف الحاج سعيد بن علي البواب الحاشدي ، ووقف القاضي محمد بن قَيْس ووقف الامام المهدي أحمد بن الحسن بن الامام القاسم ، ومن وقف النقيب الماس وبها كتب كثيرة من مكتبة آل الوزير ، فقد ذكر العلامة يحيى بن الحسين بن الامام القاسم في كتابه (طبقات الزيدية) في ترجمة صلاح بن أحمد بن عبد الله الوزير ما لفظه : ولهم خزانة كتب جمعوها ما زال اللاحق يجمع الى ما جمعه الأول حتى اجتمعت كتب كثيرة ، ثم ما زالت الى زماننا هذا ، وذكر لي بعض

اولادهم أن الباقي منها مائـــة مجلد من اعيانها : الديباج للقاضي عبد الله الدوّاري ، والمحجة البيضاء لعبد الله بن زيـــد ، وجامع آل محمد ست مجلدات ، وجامع المسانيـــد لابن الجوزي في الحديث ، والمنهاج الجلـــي في مذهب زيـــد بن علي ثلاثة مجلدات ، وهي نسخة قُرِئت على المصنف ، وكتب ضياء الحلوم في اللغـــة مجلدات ، وكتاب تهذيب الحاكم ثمانيـــة مجلدات ، والأطراف للمزي في الحديث ، والعواصم والقواصم في الذب عن سنة أبـــي القاسم للسيد محمد بن ابرهيم الوزير في أربعـــة مجلدات ، وتفسير الهادي ، وشرح المنتهى الكبير ، وجـــزء كبير من تاريخ الخطيـــب في الحديث والتراجم ، وتاريخ مسلـــم اللحجي،وسيرة علي بن صلاح في جزاين ، وجزء من سيرة والـــدة صلاح الدين وغير ذلك من الكتب ثم قال :

وفي هـــذا الوقت طلب آل الوزير قسمتها بينهـــم وتصرفوا فيها وتفرقت بعـــد أن كانت مجتمعة وذكر لـــي بعض أولادهم انها كانت في بيـــان بخط آبائهم قـــدر تسعمائة كتاب ورايت البيان كذلك ، فلـــم يبق منها الا القدر المذكور . نعـــم ، وبعد قسمتها وتفرقتها كما ذكر ، أمـــر الامام المتوكل على الله اسماعيل ـــ رضوان الله عليه ـــ بجمعها كما كانت مجموعة فجمع منها بعضها ممـــا امكن جمعها ، وجعلت في خزانة في غربي مؤخر جامع صنعاء وهي فيـــه الآن ، ولم يبق للسادة (بيـــت الوزير) فيهـــا تصرف (١١) .

وقـــد امـــر الامام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين ببنـــاء خزانة في الجامع الكبير لهذه الكتـــب الموقوفة وتـــم بناؤه سنة ١٣٤٤ وجمع اليها الكتب الموقوفة ثـــم اضاف اليها ما بقي من خزانة الامام عبد اللـــه ابن حمزة في هجرة ظفار ذيبين ، كما ضم اليها ما بقي من كتب الأمير محمد

---

(١١) معظم هذه الكتب لم يعـــد لها وجود .

ابـن الحسن بن الامام القاسم الموقوفة على ذريته بعد أن قـلّ المنتفع منهم بها وغير ذلك من الكتب الموقوفة ، ثم نقـل اليها المصحف الكوفـي المكتوب على الرق من مسجـد الشّهيدَيْن بصنعاء بعد أن ذهب من آخره عدة أجزاء وهو من أقـدم المصاحف في العالم ، ويظهر أن احـد سَدَنـة مسجد الشهيدين قد نـزع بعض أوراقه وباعها لهواة المخطوطات مـع أن هذا المصحف كـان كاملاً الى ما قبل نحو ثمانين سنة ، فقـد ذكـر القاضي العلامة المؤرخ محمد بن أحمد الحجري ـ رحمه اللـه ـ في مقدمة فهرسته لهذه المكتبـة ما يلي : « وقد اخبر جماعة من علمـاء العصر ممن كان شاهَد هـذا المصحف وقراه أنّـه كان كاملاً وأنّهـم شاهدوا فـي ختامه ما لفظه (وكتبه علي بن أبـو طالب) وممن أخبر بهذا القاضـي العلامة محمد بن عبد الله الجنداري أنـه شاهد هذا سنة ١٣١٢ ، واخبر السيد العلامة علي بن حسين الشامي عن شيخـه صفي أحمد بـن عبد الله الجنداري بمثل ما تقـدم ، وروى القاضي العلامة الصفـي أحمـد بن أحمد الجرافي عن شيخه العلامة علي بن حسين المغربـي بنحو هذا وزاد أنـه كان يجنب اسم أمير المؤمنين علـي رضي الله عنه مـا لفظه : « وزيد بن ثابت » . وأوقف عليها الامام يحيى مجموعة ثمينة ونفيسة من المخطوطـات (١٢) كما أوقف عليها مكتبة ابنـه الأمير سيف الاسلام محمد البدر الذي مـات غرقا في البحر في آخـر سنة ١٣٥٠ .

---

(١٢) ولعلهـا هي الكتب التي استخرجها من شهارة . فقد ذكـر القاضي احمد بـن عبد الله الجنداري في كتابـه الجامع الوجيز في ترجمة لطف الله بن محمد بن الغياث المتوفى بظفير حجة سنة ١٠٣٥ ما لفظـه ان كتب السيد محمد الولي التي نقلـت من الطائف الى جدة وجعل امـر ولايتها الى الشيخ لطف الله بن الغياث وعددها اربع عشرة مجلدة ثـم عهد بها الى تلميذه الامير الحسين بن الامـام القاسم بـن محمد ونقلت الى شهارة ثـم قال الجنداري وقد ذهب اكثرها وبقي بقية في شـهارة استخرجها سيف الاسلام يحيى (الامام يحيى) بـن المنصور .

ويقدر عددها في هذه الخزانة بنحـو خمسة آلاف كتاب مخطـوط (١٢) ويوجد فيها من نـوادر المخطوطات ما لا يوجد في غيرها ففيهـا مثـلا ديوان ذى الرمـة مكتوب بالخط الكوفي من المائـة الثالثة وكذلك الكتاب لسيبويه الجـزء الرابع والثامن من القرن الثالث ، ويوجد بهـا كتـاب المُغني في اصول الديـن للقاضي عبد الجبار بن احمـد شيخ المعتزلـة المتوفى سنة ٤١٥ ، وهو مما نقـل من مكتبة الامام عبد الله بـن حمزة ، والموجود منه المجلـد الاول والرابع والخامس والسادس والسابـع والثامن والتاسع والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسادس عشر والعشرون . ويلـي الجزء الاخير (الجواب الحاسم المُغني لشُبَـه المُغنـي) للعلامة محمد بن احمد بن علي بن الوليد من اعـلام المائـة السادسة وقـد ناقض فيه القاضي عبد الجبار فيما خالف فيـه الزيدية في مسألة الامامة وقد كتـب برسم مكتبة الامام عبد الله بن حمزة . وقـد صورته بعثة جامعة فـؤاد (جامعة القاهرة) فيما صورته سنة ١٩٥٢ ونشر الموجود منـه في مصر تحت اشراف الدكتور طـه حسين .

ويوجـد بها القاموس المحيط بخط جميل جـدا ، وهـو محجوب بالذهب ، ويوجد بهـا الاسعاف شرح شواهد الكشاف للشيخ خضر بـن عطا الله الموصلي اكمل تاليفـه سنة ١٠٠٣ وهو تاريـخ نسخ الكتاب وتقع في مجلدين بخـط جميل مزخرف بالذهب .

وفي هـذه المكتبة عدد كثير من الكتب بخـط مؤلفيها مثل الايجاز في علـوم الاعجاز وكذلك الانتصار وكلاهما للامام يحيى بن حمزة المتوفى سنة ٧٤٩ والفتح القديـر الجامع بين فنـي الرواية والدراية في علـم التفسير ونيـل الأوطار شرح منتقى الأخيار وتحفة الذاكرين شرح عـدة

---

(١٢) سنبـدأ بفهرستها في مطلع العـام ١٤٠٢ ـ (١٩٨٢) ان شاء اللـه .

الحصن الحصين ، ووبل الغمام على شفاء الاوام ، والسيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار وجميعها لشيخ الاعلام محمد بـــن علي الشوكاني ، وبهـــا بعض أجزاء من فتح الباري بخـــط مؤلفه الحافظ بن حجر ، وتراجم آل الوزير بخط مؤلفه الهادي بن ابرهيم الوزير المتوفى سنة ٨٢٢ ، كمـــا يوجد بها رسائل بخط البدر محمد بن اسماعيل الامير والحسن بن أحمد الحلال ويحيى بن الحسن بن الامام القاسم بن الحسين المتوفى سنة ١١٠٠ وغيرهم.

ويوجـــد في الجامع الكبير مصاحف نادرة مذهبة في غايـــة من جمال الخـــط واتقانه كما وجدنا في الخزائن العلوية في سطح الجامع مجموعات كثيرة من المصاحـــف المبعثرة النادرة المكتوبة بالخـــط الكوفي على الرق وتقدر بأكثر من خمسة عشر كيساً عدا ما فُقِد منها نتيجة الإهمال والضياع .

وتوجـــد بجامع صنعاء مكتبة أخرى تعرف بالمكتبة الغربية وهـــي تحتوي على مكتبة الامـــام المتوكل يحيى بن محمد حميد الدين وقد نقلتُهـــا من قصره (دار السعادة) الى الجامع الكبير منـــذ بضع سنين ثـــم مكتبة الامام أحمد بن الامام يحيى وقـــد كانت في قصره (بستان الخير) بصنعاء ثـــم اضفنا اليها مكتبة في قصر (سِعْدان) بمدينة حَجَّة بعد ان تـــم نقلها سنة ١٣٩٧ (١٩٧٧) . ويوجـــد أيضا بعض المخطوطات التي كانت في قصور الأُمراء . كما تـــم نقل مخطوطات مكتبة المدرسة العلمية بصنعاء التي انشأها الامام يحيى سنة ١٣٤٤ الى المكتبـــة الغربية . ويوجد بهـــا ايضا مكتبة آل الوزيـــر (١٤) المتأخرين وقد صادرها الامام أحمـــد مـــن قصورهم سنة ١٩٦٧ في أعقاب استيلائه علـــى صنعاء واستعادتـــه الحكـــم منهـــم .

---

(١٤) الامام عبد الله بن احمد الوزير والأمير علي بن عبد الله الوزيـــر .

كمـــا ان بها مكتبة شيخنا العلامة ثابت بن سعد بهران وقد أوقفها على هذه المكتبـــة وفيها مجموعة كثيرة من المخطوطات وجلّهـــا مـــن المطبوعات . ثم الحقنا بها ما تـــمّ شراؤه من المخطوطات ويقـــدر بنحـــو الـــف وخمسمائة مجلـــدة ورسالة . وتحتوي مكتبـــة الامام يحيى على نفائس الكتب ونوادرها ، فهي غنيـــة بالمخطوطات الفريدة التي لا نظـــير لهـــا في المكتبات الاخرى ، فمنها سير أعلام النبلاء للذهبي المتوفى سنـــة ٧٤٨ والسلوك في طبقات العلماء والملـــوك للجندي المتوفى سنـــة ٧٣٠ والمسجد المسبوك والزبرجد المحوك لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ ، وكذلك طراز اعـــلام الزمن في طبقات أعيان اليمن لـــه أيضا وغير ذلك مـــن النوادر .

وقـــد تمت فهرسة قسم كبير من المخطوطات بالتعاون مـــع المجلس الوطني للثقافة والفنـــون والآداب في الكويت ، وقامت الهيئة العامة للآثار ودور الكتب بطبعه ونشره ويقع في الـــف صفحة ويشمل ١٩٧٨ مجلـــدة وهي تحتوي على (٤٢٣٦) موضوعا منهـــا (٢٧٥٢) مدخل عنـــوان مستقل و (١٤٨٤) مدخل عنوان متكرر . وقـــد شمل المواضيع التاليـــة التفسير والقـــراءات والحديث والسيرة وعلـــم الكلام والفقه وأصول الفقـــه الفرائض ـــ وقد استأثرت هذه للعلوم بمعظم ما في المكتبة ـــ ثـــم المعارف العامة والادب والتاريخ والمنطق والعلـــوم الاجتماعية والعلوم الخفية واللغـــة والجغرافيا والبلاغة والنحو والصرف والعروض والقوافي والرياضيات والفلك والطب والطب البيطري والزراعـــة .

ونعمـــل الآن على اكمال فهارس بقية ما لـــم يفهرس من هـــذه المكتبة ثـــم مكتبة الاوقاف ان شاء اللـــه .

توجـــد مكتبات خاصة كثيرة في كثير من المـــدن وهجر العلم فـــي اليمن لا نعرف عن محتوياتها الا ما نـــدر بالسماع واحيانا بالمشاهدة .

ففـي صنعاء مثلا اكثر من اربعين مكتبـة وفي كل من الروضـة وذمار ورداع ويريم وابّ وتعز وذي جِبلة ، وزَبيـد وبيت الفقيه والتِّحَيْتا والمَرَاوغة والمنيرة والزَّيديَّة وحَجَّة وصَعدة وحُوث وشَهارة وهِجَر الأُهنوم مثل المَـدان وَمَعْمَرة والعُنْسُق وعِلمان ، وكذلك حَبُور والمداير والسُّودَة والكِبْس وإريان والذَّاري وذيبين وخَمِر وثُـلاء وشِبام وكوكبان والطويلة وَمَنَاخة وعِرّ الحيمة وغيرها من المـدن والهِجَر عدد كبير من المكتبـات المشهورة وسأذكرها بالتفصيل في بحث قادم ان شاء اللـه تعالى .

ومـا يوجد في هذه المكتبات الخاصة ومكتبات الأُوقاف ومكتبتـي الجامع الكبير لا يمثل الا القليل ممـا كان يوجد في اليمن من تراثهـا المشهور فقد فُقدت آلاف المخطوطات ، منها ما ذهب ضحية إغارة القبائل على المـدن لا سيما صنعاء وصعدة حيث كانوا يتلفون كثيراً منها حرقـاً وتمزيقاً ، وما سَلِم منها يُفقِـد احياناً العنوان واسم المؤلف فيصبح مجهول الاسم والنسب . وكان آخـر مرة تعرضت صنعاء فيها لمثـل هذا الزحف القبلي العارم سنة ١٣٦٧ (١٩٤٨) حينما تولى الامام عبد الله بن احمـد الوزيـر الحكـم في اعقاب مقتـل الامام يحيى فحرض الامـام احمـد حميد الدين المتوفى سنـة ١٣٨٢ (١٩٦٢) القبائـل علـى دخول صنعاء حتى يتمكنوا من أخـذ الثأر من قتلة والـده فتدافعت القبائل بأسلحتها ومعاولها وما بهـا الحرص على نصر حـق وازهاق باطل او إقامة إمام واسقاط إمام آخـر بقدر ما كانت الاطمـاع تحركها لنهب بيـوت صنعاء والاستيلاء عليها وعلى ما بهـا مـن كنوز وتُحَـف واموال فاقتحمت الأسوار ، ودخلت البيوت ونهبت مـا فيهـا واقتلعت الأبواب والنوافـذ ، ودمرت وافسدت خلال ثلاثة ايـام حضارة مئات السنين ولـم تَسْلم إلاّ قلّـة من البيوت ، منها بيوت آل حميد الدين واصهارهم وانصارهم وبعض بيـوت استطاع اهلها حمايتها والدفـاع عنهـا بالمـال .

وربمـــا كان اشد عوامل التلف والتدمير للكتب ما كان يقـــوم بـــه الحاكم من اتلاف كتـــب مخالفيه في العقيدة او المذهب كما حدث للفرقـــة المطرفية فقد قضى عليهـــا الامام المنصور عبد الله بن حمزة وقضـــى على تراثها مـــع أن المطرفية هـــم من الزيدية ، ولكنهم خالفوها في مسائل فكفروهم بالإلزام فعلماء التطريف مثـــلا يرون في الامامة انهـــا تصلح في الأتقى والأعلـــم كالمعتزلة .

وكمـــا حدث لكثير من تراث الشافعية في زبيـــد ونواحيها فقـــد قضى عليه علي بن مهدي الرعيني سنة (٥٥٤) بعد أن ولـــي الحكم في زَبيـــد ونواحيها وقتل كثيراً من علماء الشافعية لأنـــه كان حنفي المذهب ثـــم جاء أولاده بعده فقتلوا علمـــاء الشافعية في الجَنَـــد ونواحيه .

وكذلك فـــإنّ اهمال الكتب وتركها من دون استعمال يعرضهـــا للتلف كما حدث ويحدث لآلاف الكتب التي اتلفتهـــا الرطوبة والأرضـــة وغيرهما من سائـــر الآفات المسلّطة على الكتـــب لا سيما في زبيـــد والمناطق الحارّة الأخرى فـــإنّ التلف يُسرع اليها اذا لم تُستعمل او يُحافظ عليهـــا باستمـــرار .

وهنـــاك كثير من تراث اليمن قـــد تسرب الى اقطار اخرى مما نهب من اصحابه او اشتري من ورثـــة اصحابها اذا كانوا جهلة او كانـــوا محتاجين . فكثيرا مـــا كانت تتعرض صنعاء والمـــدن الاخرى لحصـــار القبائل فتشتد الحاجـــة بالسكان وتنقطع عنهم مـــوارد الرزق فيتدافعون لانقـــاذ انفسهم من الموت ببيـــع ما تحت أيديهم من كتب وتحف ونحوهما مستشهدين بقـــول الشاعر :

وقد تُخرج الحاجات يـــا أمّ مالك حوائـــج من رب بهـــن ضنـــين

وكـــان أشد حصار عرفته صنعاء في هـــذا القرن هو حصار سنة ١٣٢١ (١٩٠٣) حينمـــا حاصرتها قوات الامام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين المتوفى سنة ١٣٢٢ لأنّـــه كان فيها حامية عثمانية فنال الناس في صنعاء من ذلك الحصار بـــلاء ومجاعة شديدة فمات فيها من مـــات من الجوع والأمراض واستفدى القادرون حياتهم بنفائس ما كان معهـــم .

وقـــد اشترى بعض موظفي الدولـــة العثمانية في اليمن كتبـــا كثيرة ومنهـــم المستشار حسني باشا الذي كان مستشار الوالي العثماني حسين حلمي باشا الذي قـــدم الى اليمن سنة ١٣١٦ (١٨٩٨) فقـــد اشترى كتبا كثيرة منهـــا كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنـــة ابي القاسم) بخـــط مؤلفه محمد بن ابرهيم الوزير باعها لـــه محمد بـــن عبد الله بن الامام محمد بن عبد اللـــه الوزير وقد نقلوها الى بلادهـــم فانتهى اكثرها الى المكتبـــات الكثيرة الشهيرة في تركيا ففـــي مكتبـــة علـــي اميري باصطنبول مثلا نحـــو ثلاثة آلاف مخطوط من اليمن وبعض الكتب التي كانت تنقـــل الى اصطنبول كانت تباع لتجار الكتب من الغرب وقد رأيت عـــددا من المخطوطات اليمانية في مكتبة لَيْدن جـــاءت بالشراء ـــ كما يقول حافظ المكتبة ـــ مـــن اصطنبول .

وكان يوجد في اليمن تاجر ايطالي اسمه (جوزيف كابروتي) اقـــام بهـــا ثلاث سنوات (١٣٢٨ ـــ ١٣٣٢) ، (١٩١٠ ـــ ١٩١٣) وكان لـــه دكان بسوق الملـــح بصنعاء حصل على نحو (١٦١٠) مخطوط نقلهـــا الى ايطاليا واهديت سنـــة (١٣٣٧) ١٩١٩ الى مكتبـــة الامير وزيانا في ميلانو بمناسبة مرور ثلثمائة سنة علـــى انشائها وكان بهذه المكتبـــة من قبل قرابة مئتي مخطوطة جاءت مـــن اليمن واهديت اليها سنة ١٣٣٢ (١٩١٤) . وسمعت أن التاجر احمـــد راوية من ذمار كان كلما ذهـــب الى الحديدة حمل معـــه اكياسا من المخطوطـــات لبيعها هنالك ومنهـــا تحمل الى خارج اليمـــن وكان يشتري التاجر راوية الكتب من اصحابهـــا

في ذمار بالجملة . وحصل العالم الايطالي (انسلدي) خلال وجوده في اليمن من سنة (١٩٢٩ ــ ١٩٣٢) على مجموعة من الكتب كما حصل العالم المستشرق الايطالي روسي حينما كان في اليمن من سنة (١٩٣٧ ــ ١٩٣٨) على (٥٥) مخطوطة وقد آلت هذه المجموعات الى مؤسسة كيتاني التي انتقلت الى الاكاديمية الاهلية بروما .

وكان الرحالة الالماني المشهور كارستن نيبور قد تمكن من الحصول على مجموعة نفيسة من المخطوطات حينما جاء الى اليمن (١٧٦١ ــ ١٧٦٧) وهي الآن في المكتبة الملكية في كوبنهاجن العاصمة الدنمركية وقد رايت منها بعض المخطوطات حينما كنت في الدنمرك في شهر ايلول سنة ١٩٧٩م مدعواً من الحكومة الدنمركية.وحصل إدوارد غلازر المستشرق النمساوي خلال رحلاته الأربع الى اليمن فيما بين (١٨٨٢ ــ ١٨٩٢) على (٢٥٠) مخطوطة اشترتها مكتبة فينا ومكتبة برلين والمكتبة الوطنية في باريس .

ويوجد كثير من المخطوطات اليمانية في المتحف البريطاني وفي مكتبة كمبريدج وبودلين في اكسفورد ، ولا تخلو مكتبة من مكتبات جامعات اوروبا وامريكيا الشهيرة من كتب خطية جاءت من اليمن ، وفي مكتبة الكونغرس في واشنطن بعض المخطوطات اليمانية رايت منها (البرهان في معرفة عقائد الايمان) لعباس بن منصور بن عباس البريهي .

وقد حصل الشيخ محمد بن عبد الرحمن العبيكان على (٢٢٦) مخطوط يماني حينما كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في اليمن في العهد الملكي وقد نشر لها فهرساً خاصا سنة ١٣٩٠ .

وثمة كتب أخرى يمانية متفرقة في انحاء العالم العربي وغيره لا يمكن حصرها .